مبتكرا قبل براجي فرنسة يتعلق بتاريخ بغداد بحيث يكون بحثا وجيها لا يحتقره الادباء ولا المستشرقون ابناء الغرب . ويظهر للجنة البغدادية في الوقت عينه ان في ابناء دمشق الفيحاء من يقدر عظيم القدر عاصمة العباسيين ومن فيها من اجلالها الكرام المشهورين بالظرف والعلم والادب .

ويسوءني ان اراني الان في حالة لا يمكنني ان اخرج بها عن دائرة الاشغال التي اقتني يد الدهر فيها ولعلني ابقى فيها الى شهر ايلول من السنة القادمة ١٩٢٩ فاتمكن من القبض على ناصية الاعمال واعود الى مقامي في فرنسة .

اذن آتيك معتذرا عن القيام ببحث خاص بك طالبا من المولى عز وجل ان يعوض عني بالاتم اضعاف الاضعاف ويغمرك بفيض نعمه انه سميع مجيب ...

حياة الاب انستاس

ماري الكرملي

وخدمته للعلم واللغة العربية

ايها المحفل الكريم !

اسمحوا لي ان اسمي اجتماع هذه النخبة الصالحة من رجال الدولة والفضل واخوان العلم والادب بالمظاهرة القومية التي تتمجد فيها العروبة ويعلو شأن الوطن . وكيف لا يكون ذلك ويجتمع شملكم في عهد الملك فيصل الاول الهاشمي ، وفي دار الرئيس السعدون العربي الصميم ، باشراف الوزير السويدي العباسي ، وبرئاسة شاعر العرب الفيلسوف ، في تكريم من احتسب حياته لخدمة لغة القرآن الكريم . فلتحي العروبة ، وليحي كل عامل في سبيل العرب ولسانهم المبين .

موضوعي حياة المحتفل به الاب انستاس ماري الكرملي وخدمته للعلم واللغة العربية .

في موضوعي مجال للاسهاب ولكني محتاط على كلماتي حرصا على وقتكم لذلك سأوجز في القول وساجاوز المقدمات والتمهيدات ففي حضرتكم واتتم صفوة اهل الفضل والادب . يتناول الموضوع توا من غير مقدمات ، أي على

الطريقة الانكليزية ـ في الخطابة والكتابة طبعاً .

ولد الاب انستاس في بغداد في ٥ آب سنة ١٨٦٦ وسمي بطرس . فلما بلغ الثامنة من عمره دخل مدرسة الآباء الكرمليين وفي هذه المدرسة ومدرسة الاتفاق الكاثوليكي تعلم التعليم الابتدائي حتى اذا رآه مدير مدرسة الكرمليين ولوعا باللغة العربية شاديا في ادابها . اختاره لتدريسها وهو ابن ست عشرة سنة فقط . وما برح يدرسها الى هذا اليوم اي مدة ٤٦ عاما وقد تخرج على يده تلاميذ اولعوا بالعربية وطفق في ذلك الحين يكاتب بعض الجرائد كالبشير والصفاء والجوائب بالمقالات الادبية واللغوية باسمه الصريح أو باسماء مستعارة . وقصد سنة ١٨٨٦ المدرسة اليسوعية الاكليريكية في بيروت حيث تفرغ لتدريس العربية ودراسة اللغتين اللاتينية واليونانية .

ومن هناك رحل الى Chevremont في بلجيكة فترهب ، وانتقل بعدها الى لاغتو قرب نيس في كورة جبال الالب البحرية وفي الدير الكرملي هناك وتعلم الفلسفة وانجز الدراسة اللاهوتية والفقهية في مونبلييه Montpellier وسيم كاهنا باسم الاب انستاس ماري الالياوي .

وبعد ان قضى عامين فرنسة فقام برحلة في بلاد الاندلس واطلع على مخلفات المجد العربي ثم آب الى موطنه بغداد فتولى ادارة المدرسة الكرملية وتعليم العربية والفرنسية فيها حكما اخذ على عاتقه الوعظ في الكنيسة . والبحث والكتابة في لغة القرآن .

وما لبث أن ترك ادارة المدرسة وتفرغ للوعظ والكتابة والتأليف فشرع يكتب المقالات اللغوية والعلمية في الجرائد والمجلات العربية والفرنسية وليست هناك مجلة عربية راقية إلا وقد حملت بين دفتيها بحثا للاب انستاس الكرملي ولكنه عادة لا يوقع مقالاته باسمه الصريح لاعتبارات مختلفة اهمها ثوبه الرهباني ولعلي لا اخطىء خطيئة مميتة اذا ما بحثت في هذا الموقف بسر تواقيعه المستعارة فهي كثيرة اذكر منها : « الشيخ بعيث الخضري . وساتسنا ، وأنكح ـ والاسم مؤلف من اول حرف لكلمات اسمه الكامل ـ وكلدة ، وفهر الجابري ، ومستهل ومتطفل ، ومنتهل ، ومبتدئ ، ومحب الفجر ، وابن الخضراء » والذي يطالع

مجلات المشرق والمقتطف والهلال والزهور والمقتبس والمباحث والمنهل وغيرها يشتمل على مقالات ممتعة بهذه المواضيع . ولو جمعت مقالات المحتفل به في كتب لجاوزت المجلدات العشرة واغلب مباحثه لم يطرقها طارق قبله . نظير ابحاثه في الصليب والثور وبني ساسان والخزاعل واليزيدية والصابئة والداودين والركوسية والشبك والكاكائية والدوطة عند العرب والكفل وايوان كسرى وعقرقوف والوركا . وبعض هذه المباحث بعد الاب صاحب « لغة العرب » اول من كتب فيها في العربية كما انه اول من كتب عن كتابي اليزيدية المقدسين مصحف رش وجلوة باللغة الفرنسية في مجلة Anthropos النمسية وصدر حديثا كتاب انكليزي جليل عن اليزيدية يشيد بفضل الاب انستاس في هذا الامر .

وبالنظر الى تخصصه في الفلسفة اللغوية اضطر الى دراسة اللغات السامية والعبرية والحبشية والفارسية والتركية والصابئية فألم بطرف منها وتقب في اصولها وبعض الفاظها وبرز في علاقاتها باللغة العربية فجاءت ابحاثه في الموضوع فريدة في بابها . وقد نفاه العثمانيون في خلال الحرب العظمى الى الاناضول فبقي في قيصري سنة وعشرة اشهر ثم في اثنائها صنوف العذاب ثم اعيد الى بغداد .

ورحل الى اوربة مرارا فزار معظم عواصمها ومحاضرها كما طاف اشهر اقطار الشرق مرات وتجول في انحاء العراق . وقد عينته الحكومة بعد الاحتلال عضوا في مجلس المعارف وعهدت اليه بمراقبة انشاء جريدة « العرب » سنة وتولى انشاء مجلة (دار السلام) ما يزيد على الثلاث سنوات .

والمكانة التي احرزها الاب انستاس في عالم العلم انتخبه مجمع المشرقيات الالماني عضوا في سنة ١٩١١ واختاره المجمع العربي في دمشق ليكون من اعضائه وحضر سنة ١٩٢٤ مؤتمر المرسلين المنظمين المعرض الفاتيكاني في رومية . واهدت اليه الحكومة الانكليزية وسام M. B. E كما اهدت اليه الحكومة الفرنسية سنة ١٩٣٠ وسام Officier d'Académie وانتخبته وزارة معارفنا احد مؤسسي المجمع اللغوي الذي ألفته في العام الماضي ولم يعش طويلا .

وقد ترجم كثير من مقالات المحتفل به الى الفرنسية والانكليزية والالمانية والروسية والايطالية والاسبانية والتركية وقام باصلاح كتب ومقالات ورسائل

لكثيرين من الكتاب والمؤلفين وقد يبعث اليه احيانا بعض المؤلفين والكتاب بكتبهم ورسائلهم من مصر وسورية واوربة واميركة ليدقق النظر فيها ويصلحها قبل طبعها .

ان انصراف الاب الكرملي الى ابحاثه وكتابته المقالات لم يدع له مجالا لنشر مؤلفاته العديدة ، وما نشر من كتبه شيء لا يعتد به ولا يمثل شخصيته العلمية والادبية في حين ان له نحو ٣٠ مؤلفا طبع منها خمسة كتب دينية وكتابا « الفوز بالمراد في تاريخ بغداد » و « خلاصة تاريخ العراق » وكلاهما طبع في غيابه فشوه بالاغلاط . إلّا ان هذا لا ينقص حقه في مؤلفاته الخطية الجليلة في اللغة والتاريخ ويمكنني ان أذكر منها :

« تاريخ الكرد » .

« خواطر علمية » وهي موضوعات ومشاهيرهم .

لغوية لم يطرقها الاقدمون

« جهرة اللغات » الحاوية انواع اللغات واللغيات التي كان ينطق بها العرب في اقطار كثيرة من جزيرتهم جمعها من كتب الاقدمين .

« كتاب الجموع » فيه اسرار الجموع الكثيرة والاوزان الغريبة التي افرغت فيها ولم يذكرها الصرفيون والنحاة في كتبهم .

« كتاب السحائب » يتضمن قوانين لم يذكرها الصرفيون والنحاة في كتبهم إلّا ان اللغويين ذكروها استطرادا في دواوينهم .

« كتاب العجائب » ويشتمل على غرائب اللغة والصرف والنحو وردت في عدة كتب من اقدمي اللغويين

« الغرائب » وقد اتى فيها على ما تناثر في كتب المحققين من غرائب الصيغ والامثلة والقواعد .

« الرغائب » ذكر فيها ما اختلج في صدور اللغويين من الصيغ والمعاني التي كانوا يودون ان تفرغ فيها اللغة .

« كتاب اديان العرب »

« حشو الوزنج » حوى غرائب مقالات الاقدمين المبعثرة في الكتب المختلفة التي بسطها كل لغوي .

« مختارات المفيد » فيها مقالات عديدة لم تدرج في المجلات والجرائد وسع نيته ان يبرزها الى النور شيئا بعد شيء .

« متفرقات تاريخية » ومعظمها يتناول تاريخ العراق واقوامه .

« الانباء التاريخية » وقد حدثنا بها عن انباء بلاد الرافدين وجزيرة العرب في القديم والحديث .

« اللمع التاريخية والعلمية » في جزءين كبيرين .

« Mélanges » وهي مقالات باللغة الافرنسية في الابحاث اللغوية والتاريخية .

« الدرر النواضر » معظمها فيه نفائس اقوال الاقدمين في الفنون والعلوم العربية .

« النغم الشجي في الرد على الشيخ ابراهيم اليازجي » في النقد اللغوي .

« العرب قبل الاسلام »

« المجموعة النفيسة » كنز فيها خواطر فلسفية .

« ترجمة كتاب ارض النهرين »

« شعراء بغداد وكتابها » وهو تنقيح كتاب ترجم عن التركية .

« رحلة بغدادي الى اليمن » سنة ١٨٦١ نشرها باللغة الفرنسية في مجلة Anthropos وهي رحلة قام بها ميخا يوسف التجار البغدادي من اهل القرن التاسع عشر الى بلاد اليمن .

وقد فقد الكرملي في اثناء نفيه الى الاناضول سنة ١٩١٤ ونهب من خزانة كتبه سنة ١٩١٧ طائفة من مؤلفاته الخطية الثمينة منها اربعة كتب في تصحيح المعاجم : « لسان العرب » و « تاج العروس » و « محيط المحيط » و « أقرب الموارد » ورسائل وكتب هذه موضوعاتها : —

« الالفاظ اليونانية في اللغة العربية » وقد نشر منها نماذج في مجلة المشرق استشهد بهذه الابحاث على تأثير النهضة المأمونية في العقلية العربية الدكتور رفاعي في كتابه الحديث « عصر المأمون » و « الالفاظ اللاتينية في اللغة العربية » و « الالفاظ الفارسية في اللغة العربية » و « الالفاظ الدخيلة من عبرية وهندية وقبطية وحبشية وتركية في اللغة العربية » . و « الالفاظ الارمية في اللغة العربية » . و « الالفاظ العربية في اللغة الفرنسية » ومقالات عديدة في اصلاح اغلاط الكتاب المعاصرين ولغة العوام . كما انه له انتقادات خطيرة على معجم دوزي « ملحق المعاجم العربية » ومعجم فريتساغ العربي اللاتيني .

وجمع كتابا نفيسا في « امثال العوام في بغداد والموصل والبصرة » و « حكايات

اللغة الدارجة » وعني بتصحيح كتاب «الاكليل» للهمداني و« المرصع » في اللغة لابن تيان و « مقامات ابن ماري » وكان قد شرع قبل الحرب العظمى بطبع كتاب « العين » للخليل بن احمد الفراهيدي اللغوي العراقي الشهير مع حواش لغوية فاكمل منه ١٤٤ صفحة وحالت الحرب دون انجاز البقية . فعسى ان يتيسر من ينفق على طبع هذا الكتاب وسائر مؤلفات الكرملي الخطية ليعتني بها الخزانة العربية .

وقد جمع كاتب البحث كتبا نادرة المثال حوت زهاء اثني عشر الف مجلد من مخطوط ومطبوع واصبحت بغية القصاد من الدارسين والباحثين ولكنها أصيبت بالنهب في ٧ آذار سنة ١٩١٧ فتفرقت ايدي سبا .

وعاد سنة ١٩١٨ الى جمع الكتب وتجديد خزانته الشرقية فجمع منها زهاء احد عشر الف كتاب مطبوع وسبعمائة كتاب مخطوط تغلب عليها الابحاث التاريخية واللغوية ونقل باشرافه كثيا خطيةتجديدة منها ما أتلفته يد الضياع ومنها ما يحتفظ بها بغية طبعها ونشرها تعميما لفوائدها .

وكلكم تعرفون مجلة صاحب اليوبيل (لغة العرب) التي اتمت في هذه الايام السنة السادسة فهي المجلة العربية التي تعد صلة بين علماء الشرق والغرب وتنقل معظم مقالاتها الى اللغات الاجنبية وهي المجلة الفريدة التي تنشر ملخص ابحاثها الشهرية كثير من المجلات العلمية الاوربية والاميركية .

ويستخدم الكتاب الان الفاظا جديدة لبعض المسميات الحديثة ولا يعلم انها من صنع كاتب انسناس كالفاظ برقية لـ Télégramme ووضيعة لـ Bulletin والصبارة لـ Dossier وكناشة لـ Carnet ومعلمة لـ Encyclopédie ولا يمكن ان اتوغل في ذكر الفاظ كثيرة من هذا القبيل لئلا اصدم اسماعكم باسماء غريبة مثل اطريزا Hypertrophie de cœur .

واهم ما يشتغل به الان منشئ لغة العرب ثلاثة معاجم كبيرة :

١ـ معجم عربي كبير يذكر ما ذكرته المعاجم القديمة وما اغفلته .

٢ـ معجم فرنسي عربي يحوي الالفاظ الاعجمية وما يقابلها باللغة العربية الفصحى .

٣ـ معجم عربي فرنسي مطول .

هذا غير مواصلة اصدار مجلته الحافلة بالابحاث النفيسة وتحقيقا اللغوية ونقداته اللاذعة وهجماته الفاتكة مما تجدونه بين طبقات المجلة .

والاب متعصب للفصاحة القويمة على نحو ما نقل عن السلف الصالح يمقت النحت ويشمئز من كل تعبير لم ينص عليه في سند ثبت من القرآن او الفصحاء الخالدين .

ويعد الاب انستاس الكرملي حجة في ارائه اللغوية وابحاثه في الاقوام الشرقية المعاصرة لنا . لذلك تجد اغلب المؤلفات الغربية والشرقية التي تتطرق لتاريخ الشرق الحديث واقوامه ولغاته تذكر آراء الاب انستاس وتناقشها . والذي يطالع الانسكلوبيذية الاسلامية يتبين صحة ما اقول فضلا عن تآليف المستشرقين الاخرين وابحاث الدكتور امين المعلوف في (معجم الحيوان) وتآليف المعهد الطبي العربي بدمشق ومجلته وتقرير لجنة عصبة الامم التي زارت الموصل واطرافها وقد الف بعض العلماء الاوربيين رسائل في حياة صاحب (لغة العرب) منها رسالة المستشرق الروسي كراتشكوفسكي ورسالة المستعرب الايطالي غريفيني .

ولا يمكنني ان امسك عن ان الاب انستاس ينفق حبه للعربية الى ان يصرف كل وقته لدرس اللغة والتأليف والبحث فيها وقد يزوره الغرباء في اوقات الصلاة فيجدونه غارقا في بحث لغة الفرقان (كذا ؟!) ولم يمنعه ثوبه الرهباني من ان يناقش قسا آخر هو الاب شيخو اليسوعي العالم المعروف وينكر عليه دعواه بنصرانية بعض الشعراء العرب واوبائهم انصافا للتاريخ .

هذه لمحات من حياة الاب انستاس التي تحتفلون بيوبيله ذكرتها من غير ان اتعرض لبسط ارائه اللغوية والنحوية وتذكرون انني عاهدت نفسي على الايجاز فكان ايجازي هذا التطويل . ولكن ليس الذنب ذنبي بل للرجل حياة حافلة بالعمل طويلة الاثر فاعذروني بكرمكم وشيم العرب الصفح والكرم .

وفائيل بطي